رد مختصر على أبرز المخالفات العقدية

في كتاب

العين والأثر في عقائد أهل الأثر

تأليف/ عبد الباقي بن عبد الباقي المواهبي البعلي

١٠٠٥ - ١٠٧١هـ

اعتنى بها

مبارك بن راشد الحثلان

دار الرياحين-الطبعة الأولى-١٤٤١هـ

إعداد

د. أيمن بن سعود العنقري

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعض التنبيهات على بعض ماورد في مقدمة المعتني بإخراج الكتاب: مبارك الحثلان:

أولاً: جاء في مقدمة المحقق للكتاب [ص: ٥]: "وإنّ من أجلّ ما كتبه أسلافنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في العقيدة التي خطتها يراع الشيخ عبد الباقي بن عبد الباقي الدمشقي، شيخ الحنابلة في زمانه، الذي انتهت إليه الرئاسة بين أقرانه، جمع من روضها اليانع كتاباً وسطاً من عقائد الحنابلة على وجه الإيجاز ...".

أقول: كلامه هذا محلّ نظرٍ وتعقيب، بل ماذكره عبدالباقي المواهبي في العين والأثر يوافق عقيدة الأشاعرة المبتدعة؛ كالغزالي في كتابه [**الاقتصاد في الاعتقاد**]، والجويني في [**الإرشاد**]، والآمدي في [**غاية المرام**]، والسنوسي في [**الصغرى**] المسماة: [**أم البراهين**]، واللقاني في [**جوهرته**] المشهورة بـ[**جوهرة التوحيد**]؛ وهذه الكتب أبعد ما تكون عن التوحيد الذي أرسل الله به الرسل، وأنزل به الكتب، وإنما هي تعطيل ووقوع في الشرك في الألوهية، وتفويض، وقولٍ بخلق القرآن، ونفي لعلو الله وفوقيته على جميع مخلوقاته، واستواءه على عرشه، ونفي للتعليل في أفعال الله، وغير ذلك من الإنحرافات العقدية الخطيرة.

وقد تمّ ذكر شيءٍ من ذلك عند الرد على كتاب [**العين والأثر**].

وإمام الحنابلة الإمام أحمد بريء كلّ البرآءة من هذه العقيدة الباطلة المنحرفة عن عقيدة السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

والصواب أن يقال: ما ذكره عبد الباقي المواهبي في هذا الكتاب لا يمثّل عقيدة الحنابلة مطلقاً؛ لأنّ الحنابلة ينسبون لإمام المذهب أصولاً وفروعاً، وعقيدة إمام المذهب أحمد بن حنبل على خلاف ماذكره المواهبي، وإنما يقال: هذه عقيدة المواهبي التي قرّر فيها معتقد متأخّري الأشاعرة المبتدعة.

⇦ إضافةً إلى أنّ منشأ الغلط لدى المواهبي: اعتماده على "رسالة التميميين" (أبي الفضل وأبي محمد) فيما نقلاه من فهمهما لعقيدة الإمام أحمد لا من لفظه. وقد غلطا على الإمام أحمد.

☜ **فعلى سبيل المثال**: قال أبومحمد التميمي: "**وكان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **-الإمام أحمد- يقول: أوجب الله على المكلفين النظر والاستدلال الموصلين إلى العلم**" [طبقات الحنابلة (٢/٢٨١)].

وقال أبوالفضل التميمي: "**وكان يقول** -يعني أحمد-: **إنّ لله يدين وهما صفة له في ذاته، ليستا بجارحتين، وليستا بمركبتين، ولا جسمٍ ولا من جنس الأجسام..**" [طبقات الحنابلة (٢/٢٩٣)].

☜ **ثانياً**: قال المحقق [ص١٠]: "٢-"**العين والأثر**"وهومختصر في عقائد السادة الحنابلة، وأحد المختصرات المعتمدة عندهم في الدرس منذ تأليفه إلى يومنا هذا".

✍ **أقول**: هذا الكلام كذب لاأساس له من الصحة، فليس الكتاب معتمداً في الدرس عند الحنابلة منذ قيام دعوة الإمام المجدد محمدبن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى زمن علمائنا المعاصرين، وإنما هومعتمد لدى الأشاعرة والصوفية القبورية في الشام ومصر الذين يدّعون الانتساب إلى الحنابلة وإمام الحنابلة بريء منهم ومن معتقداتهم الشركية والبدعية.

☜ **ثالثاً**: في حاشية [ص: ٢٦] قال المحقق: "**تنبيه مهم**: يكثر في المخطوطات الحنبلية وصف ناسخيها أنفسهم بـ: "**الأثري**" أوالسلفي، وليس المراد بهذا الوصف الانتساب للسلفية المعاصرة (**الوهابية**)، بل مرادهم الانتساب لعقيدة الحنابلة التي يمثلها هذا الكتاب فتنبه.

✍ **أقول**: الوصف بالسلفي والأثري لا تنطبق إلا على من التزم بطريقة السلف اعتقاداً ومنهجاً، وأحسب أن الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب هو من أئمة السلفية المقتفية أثر القرون الثلاثة المفضلة، بل من مجددي الدين في القرن الثاني عشر، والعبرة بالحقائق لا بالدعاوى، وهذا الكلام لا غرابة أن يصدر من المعتني بكتاب المواهبي؛ لأنه ليس على عقيدة السلف بل هوعلى عقيدة

الأشاعرة وقد سبق أن رددتُ على مختصره الكلامي البدعي [مختصر عقائد الحنابلة]، **وأما دعوى الخلال** لقب (**الأثري والسلفي**) ينطبق على كتاب المواهبي فهذا من قلب الحقائق والكذب؛ لأن المواهبي قرّر فيه عقيدة متأخري الأشاعرة أهل الكلام المبتدع، وغلط غلطاً شنيعاً بإدخاله الأشاعرة والماتريدية ضمن أهل السنة، وقد بينت هذا في ردي على الكتاب.

تنبيه: الرد سيكون بإثبات مخالفة عبد الباقي المواهبي لعقيدة الإمام أحمد، وأنّ ماذكره موافق لما عليه عقيدة الأشاعرة المبتدعة.

الرد على المخالفات العقدية في الكتاب:

أولاً: قال المواهبي [ص٤١]: "المقصد الأول: في المنصوص من عقائد الحنابلة عن الإمام أحمد.

[ص٤٣]: "الباب الأول: في معرفة الله تعالى/ فتجب معرفة الله تعالى شرعاً -ومما ورد في الشرع- النظر في الوجود والموجود على كلّ مكلّفٍ قادر، وهوأول واجبٍ له تعالى".

أقول: هذا القول يخالف صراحةً ماعليه الإمام أحمد، فهويرى أنّ معرفة الله فطرية ضرورية، وأنّ كلّ مولودٍ مفطورٍ على معرفة الله والإسلام.

قال الخلال في [السنة (١/ ٤٤٦)]: "أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد قال: الفطرة الأولى التي فطرالله عَزَّوَجَلَّ عليها. قلتُ له أنا: فما الفطرة الأولى، هي الدين؟ قال: نعم".

✍ **قلتُ:** وهذا نص صريح من الإمام أحمدأنّ الفطرة هي الإسلام، وبذلك تكون معرفة الله عند الإمام أحمد فطرية ضرورية وليست نظرية كما ذكر المواهبي.

وماذكره المواهبي هوبعينه ماعليه الأشاعرة. قال اللقاني في [الجوهرة]:

واجزم بأنّ أولاً ممّا يجب معرفةً وفيه خلف منتصب

قال البيجوري في شرحه [تحفة المريد ص١١٦-١٢٠]: "وجملة الأقوال في أول الواجبات اثنا عشر قولاً: أولها: ماقاله الأشعري-إمام هذا الفن- إنه المعرفة.. ثمّ ذكر بقية الأقوال، وقال بعد ذلك: "والأصح: **أنّ أول واجبٍ مقصداً**: المعرفة.

وأول واجبٍ وسيلةً قريبةً: النظر.

ووسيلةً بعيدةً: القصد إلى النظر، وبهذا يُجمع بين الأقوال الثلاثة.

☚ **ثانياً**: قال المواهبي [ص٤٦]: "ويجب الجزم بأنّ الله تعالى ليس بجوهرٍ، ولا جسمٍ، ولا عرضٍ".

✍ **أقول:** هذه الألفاظ لم ترد في الكتاب والسنة،فهي ألفاظ مجملة تحتمل حقاً وباطلاً ومصطلحات حادثة.

قال الإمام أحمد: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث". نقله عنه ابن تيمية في [الفتوى الحموية الكبرى ص: ٩٢].

✍ **أقول:** هذا صريح في أنه يرىٰ أنّ باب الصفات توقيفي لايُتجاوز فيه النص،ويجب السكوت عمّا سكت الله عنه ورسوله.

وقال –أيضاً– الإمام أحمد: "نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه، فقد أجمل الصفة لنفسه، ولا نتعدّىٰ القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفهُ كما وصف نفسه، ولا نتعدّىٰ ذلك". نقله عنه ابن بطة في [الإبانة الكبرى (٢/ ٥٢٧)].

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده على الزنادقة والجهمية [ص: ١٧٢–١٧٤] واصفاً أهل الكلام بأنهم: "يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهّال الناس بما يشبهون عليهم، نعوذ بالله من فتن المضلين".

وقد علّق شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في [درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٢)] مبيناً كلام الإمام أحمد قائلاً: "وهذا الكلام المتشابه الذي يخدعون به جهال الناس، هو الذي يتضمن الألفاظ المتشابهة المجملة التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسنة، وتلك الألفاظ تكون موجودةً مستعملةً في الكتاب والسنة وكلام الناس، لكن بمعانٍ أُخر غير المعاني التي قصدوها هم بها، فيقصدون هم بها معاني أُخر،

فيحصل الاشتباه والإجمال... لفظ: الجوهر، والعرض، والجسم، والتحيز، والجهة، والتركيب، والجزء.. وغير ذلك من الألفاظ".

وقال أيضاً في [مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٠٠-٣٠١)]: "وأحمد وأمثاله من السلف كانوا يعلمون أنّ هذه الألفاظ التي ابتدعها المتكلمون كلفظ الجسم وغيره ينفيها قوم؛ ليتوصلوا بنفيها إلى نفي ما أثبته الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... طريقة الجهمية: من المعتزلة وغيرهم: ينفون الجسم حتى يتوهم المسلمون أنّ قصدهم التنزيه، ومقصودهم بذلك أنّ الله لا يرىٰ في الآخرة، وأنه لم يتكلم بالقرآن ولا غيره، بل خلق كلاماً في غيره، وأنه ليس له علم يقوم به، ولا قدرة، ولا حياة، ولا غير ذلك من الصفات".

✍ **أقول:** ما ذكره عبدالباقي المواهبي هوبعينه ماقرّره الأشاعرة.

قال أبوحامد الغزالي في [الاقتصاد (ص١٤٨-١٥٢)]: "**الدعوىٰ الرابعة**: ندّعي أنّ صانع العالم ليس بجوهرٍ متحيّز... **الدعوىٰ الخامسة**: ندّعي أنّ صانع العالم ليس بجسمٍ.. **الدعوىٰ السادسة**: ندّعي أنّ صانع العالم ليس بعرضٍ..".

☚ **ثالثاً**: قال المواهبي [ص: ٤٦]: "لاتحلّه الحوادث".

وقال [ص٤٣-٤٤]: "وبأنه تعالىٰ: عالم بعلمٍ واحدٍ قديمٍ، باقٍ ذاتيٍّ.. فلا يتجدد علمه بتجدد المعلومات..، وبأنه: قادر بقدرةٍ واحدةٍ، وجوديةٍ، قديمةٍ، باقيةٍ، ذاتيةٍ..

وبأنّه مريد بإرادةٍ واحدةٍ وجوديةٍ، ذاتيةٍ، قديمةٍ.. وبأنه تعالىٰ: سميع بصير، بسمعٍ وبصرٍ قديمين، ذاتيين، وجوديّين، متعلقين بكلّ مسموعٍ ومبصرٍ. وبأنه تعالىٰ: قائل ومتكلّم بكلامٍ قديمٍ، ذاتيّ، وجوديّ ...".

✍ **أقول:** عبارة: "لاتحلّه الحوادث" من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً مع التوقف في لفظها والاستفصال عن معناها، فإن أُريد به: أنّ الله لا تحصره الحوادث أي: المخلوقات ولا تحلّ فيه فهوحق، وإن أُريد به: نفي الصفات الفعلية الاختيارية عن الله جَلَّوَعَلَا فهو باطل...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة في الصفات الاختيارية ضمن [جامع الرسـائل (٢/٧)]: "والكلابية يقولون: هو متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة، ولا تكون بمشيئته، فأمّا ما يكون بمشيئته فإنه حادث، والربّ تعالىٰ لا تقوم به الحوادث. ويترجمون الصفات الاختيارية بمسألة حلول الحوادث؛ فإنه إذا كلّم موسىٰ بن عمران بمشيئته وقدرته، وناداه حين أتاه بقدرته ومشيئته، كان ذلك النداء والكلام حادثاً.

قالوا: فلو اتصف الربّ به لقامت به الحوادث".

✍ **أقول:** الصفات الاختيارية: هي الأمور التي يتصف بها الرب عَزَّوَجَلَّ فتقوم بذاته بمشيئته وقدرته، فصفات الأفعال نوعها أزلي لم يزل ولايزال، وأفرادها

وجزئياتها لا تزال تتجدد كلّ وقتٍ بحسب إرادته وحكمته التي يُحمد عليها، هذا اعتقاد أهل السنة في ذلك. **أمّا ماذكره المواهبي فهو بعينه ماعليه الأشاعرة.**

قال الآمدي في [غاية المرام ص٧٤]: "مذهب أهل الحق –الأشاعرة–أنّ الباري تعالى عالم بعلمٍ واحد قائم بذاته قديم أزلي متعلّق بجميع المتعلّقات".

وقال الجويني في [الإرشاد ص١٣٩]: "مذهب أهل الحق–الأشاعرة–أنّ الباري تعالى مريد بإرادةٍ قديمةٍ".

وجاء في شرح [أم البراهين] للسنوسي مع [حاشية الدسوقي ص١٧٦] ما نصه: "كلام الله تعالى: القائم بذاته هوصفة أزلية ليس بحرفٍ ولا صوت، ولا يقبل العدم وما في معناه من السكوت، ولا التبعيض، ولا التقديم، ولا التأخير".

✍ **أقول:** وقد خالف المواهبي عقيدة الإمام أحمد في صفات الفعل الاختيارية.

ففي [السنة للخلال (٢/ ٣٠٥)]: "أخبرني يوسف بن موسى، أنّ أباعبدالله–أحمد بن حنبل–قيل له: أهل الجنّة ينظرون إلى ربهم عَزَّوَجَلَّ ويكلمهم ويكلّمونه؟ قال: نعم، ينظر وينظرون إليه، ويكلمهم ويكلمونه، كيف شاء وإذا شاء".

وجاء في [السنة] لعبد الله بن الإمام أحمد [ص: ٢٤٤–٢٤٥]: "قال: سألتُ أبي عن قومٍ يقولون: لمّا كلّم الله عَزَّوَجَلَّ موسى لم يتكلّم بصوتٍ؟ قال أبي: بلى، إن ربك تكلّم بصوتٍ، هذه الأحاديث نرويها كما جاءت".

وقال في رده على الزنادقة والجهمية [ص: ٢٧٨]: "نقول: إنّ الله لم يزل متكلّماً إذا شاء، ولا نقول: إنه قد كان ولا يتكلّم حتى خلق كلاماً".

☚ **رابعاً**: قال المواهبي [ص: ٤٧]: "فيحرم تأويل مايتعلّق به تعالى، وتفسيره كـ:آية الاستواء، وحديث النزول.."، وفي [ص: ٦٥] قال: "بل الحنابلة يثبتون ما أثبته الله رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلون علمه إلى الله تعالى".

وفي [ص: ٦٧] قال: "وسيأتي في التتمة الخامسة، ذكر كلام الأشعري، وأنه موافق للإمام أحمد في الاعتقاد، وأنه يُجري المتشابهات على ماقاله الله من غير تصرّفٍ ولا تأويل".

✍ **أقول:** كلام المواهبي صريح في تفويض معاني نصوص الصفات إلى الله، والسياق المصحوب بعدة قرآئن واضح في التفويض البدعي الكلامي من وجوه:

① أنه حرّم تفسير آيات الصفات؛ كالاستواء والنزول.

② قال: "يكلون علمه إلى الله" أي: معاني نصوص الصفات.

③ جعل نصوص الصفات من المتشابهات، والمتشابه: الذي يحتمل عدة معانٍ.. والذي يعلم هذه المعاني أوأحدها في الصفة: الله جَلَّ وَعَلَا، ولم يجعلها من المحكم: الذي لايحتمل إلاّ معنىً واحداً.

فأهل السُّنَّة يرون أن استواء الله علىٰ عرشه: لا يحتمل إلاّ العلو والارتفاع، والنزول لايحتمل إلا نزوله بذاته، واليدين لا يحتمل إلاّ إثبات يدين لله حقيقيتين، وهكذا ...

أما أهل التفويض البدعي الكلامي الأشعري والماتريدي فيرون أن الاستواء يحتمل معانٍ كثيرة دون القطع بمراد الله منها؛ لأنهم يرون أن القاطع العقلي بزعمهم يمنع من إجراء صفة الاستواء علىٰ ظاهرها، وهذه المعاني الله أعلم بها، فالبشر يستحيل علمهم بها.

④ أنّ المواهبي ذكر أنّ أبا الحسن الأشعري موافق للإمام أحمد فيما سمّاه المتشابهات، وهذا باطل؛ لأنّ الإمام أحمد كلامه صريح في الإثبات، أمّا الأشعري فمضطرب متناقض، فتارةً يؤول الصفات، وأحياناً يثبت، وتارةً يفوض، وينفي صفات الفعل الاختيارية لله جَلَّ وَعَلَا علىٰ طريقة عبدالله بن سعيد بن كلاب، وقد بدّع الإمام أحمد ابن كلاب وأمر بهجره، والأشعري أخذ اعتقاده تفصيلاً من ابن كلاب ووافقه في نفيه لصفات الفعل الاختيارية ونفي الحكمة والتعليل في أفعال الله، والقول بالكسب الجبري وغير ذلك، فكيف يجعل المواهبي الأشعري موافقاً للإمام أحمد في نصوص الصفات؟! هذا عجيب جدًّا.

✍ **أقول:** أقوال الإمام أحمد وتقريراته الكثيرة صريحة في إثبات الصفات لله وردّ بدعة التفويض، فمنها:

❶ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "صحّ الخبر عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: «وكلتا يديه يمين» الإيمان بذلك، فمن لم يؤمن بذلك ويعلم أنّ ذلك حق كما قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فهومكذب برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ".

[اعتقاد الإمام أحمد] (رواية محمدبن عوف) ضمن [الجامع في عقائد أهل السنة والأثر (ص٣٨٨)].

❷ قال الخلال في لألسنة (٢/ ٣٣٧)]: "حدثنا الميموني، قال: قال أبو عبدالله: من زعم أنّ يده نعماه كيف يصنع بقوله: (خلقتُ بيديّ) مشددة".

فقد صرّح الإمام أحمد بأنّ صيغة التثنية بالتشديد لا تحتمل سوى حقيقة اليدين. وهذا فيه رد على المؤولة في دعواهم: أنّ اليد بمعنى النعمة، وفيه رد على المفوضة في كونهم يكلون علم اليدين إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

✍ **أقول:** ما ذكره المواهبي من تفويض نصوص الصفات هوأحد المسلكين للأشاعرة والماتريدية.

جاء في [جوهرة اللقاني] الأشعري وشرحها له: [هداية المريد (ص١٤٦-١٤٧)]:

وكلّ نصٍّ أوهم التشبيها ... أولّه أوفوّض ورُم تنزيها

اختلفوا هل يؤول ذلك الظاهر تأويلاً تفصيليًّا، أو يؤول تأويلاً إجماليًّا..

فذهب إلىٰ الأول: الخلف، ويعبّر عنهم بالمؤولة. **وذهب إلىٰ الثاني**: السلف، ويعبّر عنهم بالمفوضة.

وفي [تبصرة الأدلة] لأبي المعين النسفي الماتريدي [١/ ١٨٣] مانصه: "ثمّ بعد ذلك اختلف مشايخنا رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ: منهم من قال في هذه الآيات إنها متشابهة نعتقد فيها أن لا وجه لإجرائها علىٰ ظواهرها ونؤمن بتنزيلها ولانشتغل بتأويلها ونعتقد أن ماأراد الله حق، وما يروىٰ عن السلف من ألفاظٍ يوهم ظاهرها إثبات الجهة والمكان فهومحمول علىٰ هذا..، ومنهم من اشتغل ببيان احتمال الآيات معاني مختلفة سوىٰ ظاهرها".

☚ **خامساً**: قال المواهبي [ص٤٦]: "بل يجب الجزم بأنه سُبۡحَانَهُۥ: بائن من خلقه، فكان ولا مكان، ثمّ خلق المكان، وهوالآن كما كان قبل خلق المكان":

✍ **أقول**: كلامه صريح في نفي علوالله وفوقيته بذاته علىٰ جميع مخلوقاته واستواءه علىٰ عرشه.

✓ **أما أهل السنة فيؤمنون**: بأنّ الله كان ولم يكن شيء قبله، ثمّ خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه علىٰ الماء، ثمّ استوىٰ علىٰ العرش، وثمّ هنا للترتيب الزماني لا لمجرد العطف.

✍ **والردُّ علىٰ قول المواهبي** أن يقال: ماذا يعني بالمكان الذي كان الله ولم يكن؟ هل يعني به تلك الأمكنة الوجودية التي هي داخل محيط العالم؟ فهذه أمكنة حادثة، ونحن لانقول بوجود الله في شيءٍ منها؛ إذ لا يحصره ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

وأما إذا أراد بها المكان العدمي، الذي هو خلاء محض لا وجود فيه؛ فهذا لا يقال: إنه لم يكن، ثمّ خلق؛ إذ لا يتعلّق به الخلق، فإنّه أمر عدميّ.

✍ **أقول:** وما ذكره المواهبي هو بعينه ما عليه الأشاعرة ...

قال الجويني في [لمع الأدلة ص: ١٠٨]:"فإذا ثبتَ تقدّس الباري عن التحيّز والاختصاص بالجهات فيُرتب علىٰ ذلك تعاليه عن الاختصاص بمكان".

☚ **سادساً**: قال المواهبي [ص: ٤٨]: "كلُّ شيءٍ سوىٰ الله وصفاته حادث، وهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خلقه وأوجده وابتدأه من العدم لا لعلةٍ، ولا لغرضٍ، ولا لموجبٍ، ولا يفعل شيئاً عبثاً".

✍ **أقول:** هذا نفي للتعليل في أفعال الله علىٰ طريقة الأشاعرة ...

قال الآمدي في [غاية المرام ص: ١٩٦]: "مذهب أهل الحق-يعني الأشاعرة-أن الباري تعالىٰ خلق العالم وأبدعه لا لغايةٍ يستند الإبداع إليها، ولا لحكمةٍ يتوقف عليها، بل كلّ ما أبدعه من خيرٍ وشرّ ونفعٍ وضرٍّ لم يكن لغرضٍ قاده إليه ولا لمقصودٍ أوجب الفعل، بل الخلق وأن لا خلق له جائزان، وهما بالنسبة إليه سيان".

وقد أثبت الإمام أحمد الحكمة والتعليل في أفعال الله جَلَّ وَعَلَا قائلاً: "ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلةً لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشرّه، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان، لا يقال: لم؟ ولا كيف؟

إنما هو التصديق والإيمان، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كُفي ذلك وأُحكم له، فعليه بالإيمان به، والتسليم له؛ مثل حديث: (الصادق والمصدوق)، وما كان مثله في القدر".

[عقيدة الإمام أحمد] التي رواها عبدوس العطار، ضمن [الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر ص: ٣٤٩، وص: ٣٧٥].

✍ **ومراده:** أن من لم تظهر له حكمة الله من تقديره للأشياء فعليه الإيمان والتسليم.

☚ **سابعاً**: قال المواهبي [ص: ٤٨]: "وله تعالى إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرمٍ، فله أن يفعل بخلقه ما يشاء، وكلُّ ذلك منه حسن".

✍ **أقول:** قرّر المواهبي مذهب الأشاعرة في معنى تنزيه الله عن الظلم، فهو يرى أنّ لله أن يعذب الخلق من غير جرمٍ ارتكبوه، وذلك منه حسن؛ لأنّ ذلك تصرف في ملكه، وله أن يتصرّف في ملكه بما يشاء، والظلم: هو التصرف في ملك الغير ...

وهذا من فروع نفي التعليل والحكمة في أفعال الله ...

قال الغزالي في [الاقتصاد في الاعتقاد ص: ٣٢٧]: "ندّعي: أنّ الله قادر على إيلام الحيوان البريء عن الجنايات، ولا يلزمه عليه ثواب.." إلى أن قال [ص: ٣٢٨-٣٢٩]: "فإن قيل: فيؤدي إلى أن يكون ظالماً؛ وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦]؟

قلنا: الظلم منفي عنه بطريق السلب المحض؛ كما تُسلب الغفلة عن الجدار، والعبث عن الريح؛ فإن الظلم إنما يتصور ممّن يُمكن أن يُصادف فعله مُلك غيره، ولا يُتصور ذلك في حق الله تعالى، أو يمكن أن يكون عليه أمر فيُخالف فعلُه أمر غيره... فمن لا يُتصور منه أن يتصرّف في مُلك غيره، ولا يُتصور منه أن يكون تحتَ أمر غيره ... كان الظلم مسلوباً عنه؛ لفقد شرطه المصحّح له، لا لفقده في نفسه. فلتُفهم هذه الدقيقة؛ فإنها مزلة القدم.

فإن فُسّر الظلم بمعنىً سوى ذلك... فهو غير مفهوم، ولا يُتكلّم فيه بنفيٍ ولاإثبات".

✍ **أقول:** أما معنى تنزيه الله عن الظلم عند أهل السنة فهو: أنّ الله حكم عدل يضع الأشياء في مواضعها فلا يضع شيئاً إلا في موضعه الذي يناسبه، فلا يفرّق بين متماثلين ولا يسوّي بين مختلفين، ولا يُعاقب إلاّ من يستحقّ العقوبة فيضعها موضعها

لما في ذلك من الحكمة والعدل، وهو سُبۡحَانَهُ حرّم الظلم على نفسه بفعله وإرادته بعد قدرته عليه تفضلاً منه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وعدلاً منه عَزَّوَجَلَّ.

وقد فسره سلف الأمة وأئمتها بأن لا يُحمّل المرء سيئات غيره، ولا يعذبه بما لم تكسب يداه، وأنه لا ينقص من حسناته فلا يجازى بها أو ببعضها.

[رسالة في معنى كون الرب عادلاً وفي تنزهه عن الظلم] لابن تيمية ضمن [جامع الرسائل (١/ ١٢٣-١٢٤)]، [شفاء العليل لابن القيم ٣/ ١٣٤٩-١٣٥٢)].

وهذا هوالظلم الذي نفى الله خوفه عن العبد بقوله: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾ [طه: ١١٢] قال المفسرون: "لا يخاف أن يحمل عليه سيئات غيره، ولا يُنقص من حسناته، وقيل: بأن يؤاخذ بما لم يعمل، وقيل: لا يخاف ألا يُجزىٰ بعمله". [تفسير ابن جرير (٨/ ٤٦٢)].

وقد فسّر الإمام أحمد تنزيه الله عن الظلم بما عليه أئمة السنة ...

قال الخلال في [السنة (١/ ٤٤٨)]: "أخبرني عصمة بن عصام، قال: حدثنا حنبل، قال: سألتُ أبا عبد الله، قلتُ: أفاعيل العباد مخلوقة؟

* قال: نعم، مقدّرة عليهم بالشقاء والسعادة.

* قلتُ له: الشقاء والسعادة مكتوبة على العبد؟

* قال: نعم، سابق في علم الله، وهما في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقه، والشقاء والسعادة من الله عَزَّوَجَلَّ.

* قال عبدالله: الشقيّ: من شقي في بطن أمه، والسعيد: من سعد بغيره.

* قال: وكتب الله على آدم أنه يصيب الخطيئة قبل أن يخلقه.

* قلت: فأمر الله العباد بالطاعة؟ قال: نعم، وكتب عليهم المعصية لإثبات الحجة عليهم، ويعذب الله العباد وهو غير ظالمٍ لهم".

فهذا فيه سبق علم الله بمعصية العبد؛ لإقامة الحجة عليهم، وأنّ تعذيبه لهم بسبب معصيتهم، فلم يظلمهم في ذلك، فهو لا يُعاقب إلا من يستحق العقوبة فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة والعدل.

☚ **ثامناً**: قال المواهبي [ص٦٠]: "طوائف أهل السنة ثلاثة: حنابلة، وأشاعرة، وماتريدية".

✍ **أقول**: إدخال المواهبي الأشاعرة والماتريدية في مفهوم أهل السنة باطل غير صحيح؛ لأن هاتين الفرقتين الكلاميتين تخالفان أهل السنة في مصدرالتلقي وفي أغلب مسائل الاعتقاد، فكيف يدخلون في مسمّى أهل السنة بالمعنى الأخص؟

والإمام أحمد بدّع عبدالله بن سعيد بن كلاب؛ لإنكاره الصفات الفعلية الاختيارية لله جَلَّوَعَلَا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في [درء التعارض (٢/٦)]: "وأمّا الحارث المحاسبي فكان ينتسب إلى قول ابن كلاب، ولهذا أمر أحمد بهجره، وكان أحمد يحذّر عن ابن كلاب وأتباعه".

وقال أيضاً في [الفتاوى (٣٦٨/١٢)]: "والإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة كانوا يحذرون عن هذا الصل الذي أحدثه ابن كلاب ويحذرون عن أصحابه. وهذا هوسبب تحذير الإمام أحمد عن الحارث المحاسبي ونحوه من الكلابية".

- **والخلاف بين أهل السنة بين الأشاعرة والماتريدية مشهور وفي جلّ مسائل الاعتقاد فمنها:**

أولاً: (مصدر التلقي).

فالإمام أحمد يقول: "أصول السنة عندنا: التمسك بماكان عليه أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكلُّ بدعةٍ فهي ضلالةٍ، وترك المراء والخصومات في الدين، ... والسنة عندنا آثار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسنة تُفسّرُ القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تُضرب لها الأمثال، ولا تُدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوىٰ".

[اعتقاد الإمام أحمد] –رواية عبدوس العطار– ضمن [الجامع في عقائد ورسائل أهل السنة والأثر (ص٣٤٨-٣٤٩)].

بينما الأشاعرة والماتريدية: أجمعوا على اعتماد العقل في المسائل العقدية واعتبروها أدلةً قطعية، وهّونوا من الاعتماد على الأدلة النقلية؛ لأنها أدلّة ظنية.

قال الآمدي في [غاية المرام (ص١٧٦)]: "ولعلّ الخصم قد يتمسك هاهنا بظواهر من الكتاب والسنة وهي بأسرها ظنية ولا يسوغ استعمالها في المسائل القطعية؛ فلهذا آثرنا الإعراض عنها ولم نُشغل الزمان بإيرادها".

بل ذهب السنوسي في شرح [أم البراهين ص: ٣٤٥] إلى أبعد من هذا فقال: "ولهذا قيل: **إنّ أصول الكفر ستة: وذكر منها: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية؛ للجهل بأدلة العقول**".

وصرّح أبومنصور الماتريدي في كتابه [التوحيد ص: ٣]: بأنّ حجة العقل هي التي بها يُعلم صدق الدعوى، فمن إليه –أي: العقل– مرجعه في الدين فهو المحق.

وذكر أيضاً في كتابه [التوحيد (ص: ١٣٥-١٣٧)]: أنّ معرفة الله لا تكون إلاّ بالاكتساب العقلي؛ فلذا أوجب معرفة الله بالعقل ورتّب على ذلك إيجاب النظر والاستدلال، وجعله أول واجبٍ على العبد.

ثانياً: حقيقة التوحيد:

إفراد الله بالعبادة والنهي عمّا يضادّه وهو: الشرك المخرج من الإسلام ...

قال الإمام أحمد: "ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، فإن تاب رجع إلى الإيمان، ولا يخرجه من الإسلام شيء إلا الشرك بالله العظيم..".

[اعتقاد الإمام أحمد] –رواية مسدد– [ص٣٦٥] ضمن [الجامع في عقائد أهل السنة والأثر].

بينما نجد الأشاعرة والماتريدية غاية التوحيد عندهم: الربوبية؛ لأنهم يفسرون الإله: بالقادر على الاختراع، فلا ينكرون الشرك في الألوهية، بل ربما وقع بعضهم فيه.

قال السنوسي في [شرح أم البراهين (ص: ٣٢٩-٣٣٠)] في معنى الإله: "وإن شئتَ قلتَ في معنى الإله: هو المستغني عن كلّ ماسواه والمفتقر إليه كلّ ماعداه".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في [درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٧-٢٢٨)]: "ولهذا كان من أتباع هؤلاء –الأشاعرة– **من يسجد للشمس والقمر والكواكب، ويدعوها كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرّب إليها، ثمّ يقول: إنّ هذا ليس بشرك**، إنما الشرك إذا اعتقدتُ أنها المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطةً لم أكن مشركاً. ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك".

ثالثاً: مسألة كلام الله، وأنّ الله يتكلّم متى شاء إذا شاء، وأنّ كلامه بحرفٍ وصوتٍ، وأنّ القرآن الذي بأيدينا ليس بمخلوق..

قال الإمام أحمد: "القرآن غير مخلوق.. ومن يشكّ في هذا؟! قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ففرّق بين الخلق والأمر.

قال أبو عبدالله: فالقرآن من علم الله، ألا تراه يقول: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝﴾ [الرحمن: ٢] والقرآن فيه أسماء الله، أيّ شيءٍ تقولون؟! من زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر، لم يزل الله قديراً، عليماً، عزيزاً، حكيماً، سميعاً، بصيراً، لسنا نشكّ أنّ أسماء الله ليست بمخلوقة، ولسنا نشكّ أنّ علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ليس بمخلوق، وهو كلام الله، ولم يزل الله متكلماً". [السنة للخلال ٢/ ٥٥-٥٦].

أما الأشاعرة: فقد ذكر الجويني أنّ الفارق بينهم وبين المعتزلة، كون المعتزلة تنكر الكلام النفسي، وهم يثبتونه، وأما هذا القرآن الموجود بين دفتي المصحف فهم متفقون مع المعتزلة أنه "مخلوق".

قال في [الإرشاد ص: ١٥٧-١٥٨]: "وقولهم -أي المعتزلة- إنه كلام الله، إذا رُدّ إلى التحصيل آل الكلام إلى اللغات والتسميات، **فإنّ معنى قولهم: هذه العبارات كلام الله؛ أنها خلقه، ونحن لا ننكر أنها خلق الله**، ولكن نمتنع من تسمية خالق الكلام متكلماً به، فقد أطبقنا على المعنى، وتنازعنا بعد الاتفاق في تسميته".

⇦ **وأما الماتريدية**: فقد صرح أبومنصور الماتريدي في كتابه التوحيد بأنّ هذه الحروف والأصوات مخلوقة، فقال في كتابه [التوحيد ص: ٥٨-٥٩]: "فإن قال قائل: هل أسمع الله كلامه موسى حيث قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤] قيل: أسمعه بلسان موسى **وبحروفٍ خلقها وصوتٍ أنشأه**، فهو أسمعه ما ليس بمخلوق".

✍ **أقول:** هذه نماذج من بعض المسائل العقدية التي يتبين بها المفارقة الظاهرة بين عقيدة الإمام أحمد وعقيدة الأشاعرة والماتريدية، وإلاّ فالمسائل كثيرة ...

✍ **وبهذا يتبين**: أنّ إدخال عبدالباقي المواهبي للأشاعرة والماتريدية في مفهوم أهل السنة والجماعة غلط ظاهر لا يوافقون عليه.

وإنما يختص هذا المفهوم: بما كان عليه النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه وتابعوهم وأئمة الدين إلى وقتنا هذا، دون من رُمي ببدعةٍ أوشُهر بلقبٍ غير مرضيٍّ؛ كالخوارج والشيعة والجهمية والقدرية والمعتزلة والمرجئة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم من طوائف أهل الضلال.

☝ هذا ماتيسر تحريره في نقض أبرز المخالفات العقدية في كتاب: [العين والأثر في عقائد أهل الأثر] لعبدالباقي المواهبي الحنبلي... والذي يجعله التيارالبدعي الكلامي الأشعري المتسبون زوراً للحنابلة مرجعاً لهم في ترويج عقيدة أهل الكلام المبتدعة الضلاّل، وهذا التيارالبدعي الكلامي اشتُهر في وسائل التواصل بـ "الحنابلة الجدد" مع تحفظي على وصفهم بذلك، فهم في الحقيقة نبتة كلامية أشعرية ماتريدية خطيرة تنقض أصول اعتقاد أهل السنة السلفيين تحت ستار: "الحنابلة".

وَبِاللهِ التَّوْفِيْقُ ... وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

✍ كتبه/

د. أيمن بن سعود العنقري.

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بجامعة الإمام.